سلسلة تفريغات شبكة بينونة

نور القلب

الشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

www.baynoona.net @baynoonanetUAE @baynoonanet @baynoonanet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

نور القلب

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أمَّا بعد:

فأهلًا ومرحبًا بكم أيُّها الإخوة الأكارم في هذا اللقاء الذي أسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعله لقاءً مباركًا نافعًا، معينًا لنا على إقامة ديننا وزيادة إيماننا، وعنوان هذا اللقاء هو: **نورُ القلب**.

إنّ نعم الله -تبارك وتعالى- على عباده عظيمة، وإنّ آلاءه -جلَّ وعلا- عليهم دائمة، وإنّ من نعم الله التي لا بد من شكرها والقيام بحقها؛ "نعمة القلب"

فالقلب نعمةٌ عظيمةٌ من نعم الله -تبارك وتعالى- على عباده، أعطاهم إيَّاها ليعقلوا عنه أمره ونهيه، ودينه، وشرعه، كما قال

سبحانه:﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

إذًا القلب نعمةٌ تحتاج إلى شكر، وإلى تضرُّعٍ إلى الله -تبارك وتعالى-، وهذا يعني؛ أنَّ العناية بالقلب ضرورةٌ شرعية، لا بد للمسلم أن تتجه همته إلى رعاية قلبه، وإلى العناية به، وإلى الإقبال على الأسباب التي تصلحه.

لماذا نقول ذلك؟

لأنّ صلاح هذا البدن وهذا الظاهر؛ بصلاح هذا القلب، وهذه المضغة، والعكس بالعكس، فبفساد هذا القلب فساد البدن والجوارح، قال -عليه الصلاة والسلام-: «ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً، إذا صلَحَت صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَت فسَد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ»[1].

فكلُّ امرئٍ منَّا مسؤولٌ عن قلبه أمام الله -تبارك وتعالى-، وهذا أمرٌ يدعو إلى مزيد العناية بهذه المضغة؛ فما يقع في القلب من حبٍّ وبُغض، وإقبالٍ وإدبار، وعزمٍ على المعاصي، أو حبٍّ للطاعة، أو إقبالٍ على الخير،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٠) برقم: (٥٢) ومسلم في "صحيحه" (٥ / ٥٠) برقم: (١٥٩٩).

أو حُبًّا للشر ونحو ذلك، فالمرء مسؤولٌ عنه، كما قال الله -جلَّ وعلا-:
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

فهذه النصوص، وهذه الآيات، وهذه الأحاديث، تجعل المرء يقف وقفةً جادةً مع نفسه:

ما هي الأمور التي تنير قلبي، وتقربني من خالقي، وتجعلني مرفوع القدر عالي الشأن عند الله -تبارك وتعالى-؟

الأسباب كثيرة، والعوامل متعددة، لكن كلها ترجع إلى أُصولٍ ثلاثة إن راعاها الإنسان واعتنى بها أنار الله -تبارك وتعالى- قلبه وأصلح فؤاده.

لكن لا بد أن نتنبَّه إلى أن مصدر هذه الأصول وهذه الأسباب هو كتاب الله -جلَّ وعلا-، وسُنَّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ إذ لا صلاح للقلب إلَّا بذلك، ولا حياة له إلَّا بذلك، كما قال -جلَّ شأنه-:
﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

هذا مَثَلٌ ضربه الله -جلَّ وعلا- للمؤمن بعد أنْ أنار الله -جلَّ وعلا- قلبه، وكيف مَنّ الله -تبارك وتعالى- عليه بالهداية وحياة فؤاده.

فأصل الأصول وأعظم الأسباب وأجلُّها في إنارة القلب وإصلاحه وانشراح صدره، وإقباله على خالقه هو:

١- **إيمانه الصادق بالله -جلَّ وعلا-، وهو: توحيده الخالص لربّه -تبارك وتعالى-.**

قال -عليه الصلاة والسلام-: «وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ- إذًا لا قيمة لمن يملك الدنيا -وَلا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلا لِمَنْ أَحَبَّ»[1] هذا معيارٌ عظيم، وميزانٌ يُوزَن به الخلق.

«وَلا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلا لِمَنْ أَحَبَّ» استشعر أخي الكريم هذا المعنى العظيم في نفسك، وما مّنَّ الله -تبارك وتعالى- به عليك من إيمانك بخالقك -تبارك وتعالى-، ثق تمامًا أنه إن شرحَ الله صدرك لتوحيده وعبادته والإقبال؛ عليه جاءتك الخيرات من حيث لا تحتسب.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ٨٥٥) برقم: (٣٧٤٦)

قال -عليه الصلاة والسلام- لأبي ذر -رضي الله عنه-: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قال -صلَّى الله عليه وسلَّم-: هِيَ أَحْسَنُ الحَسَنَاتِ»(١)

نعم "لا إله إلَّا الله" هي أحسن الحسنات؛ لأنَّها أساس نور القلب وهدايته إلى خالقه.

"لا إله إلَّا الله" أحسن الحسنات؛ لأنَّه لأجلها خلقنا الله، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

"لا إله إلَّا الله" أحسن الحسنات؛ لأنَّه لأجلها بعث الله الرُّسل إلى الخلق، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾ بأي شيء؟ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

"لا إله إلَّا الله" أحسن الحسنات، إن طبَّقها صاحبها في قلبه، وجعلها واقعًا في حياته؛ كان أسعد النَّاس بشفاعة نبيِّه -صلَّى الله عليه وسلَّم- يوم القيامة، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: **"يا رسول الله، مَن**

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٣/ ٥٢٦) برقم: (١٩٨٧)

أسعد النَّاس بشفاعتك؟" -لاحظوا- قال: مَن أسعد؟ ولم يقل: من هو السعيد؟

قال: "مَن أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟" قال عليه الصلاة والسلام: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(١)

"لا إله إلَّا الله" أحسن الحسنات؛ لأنَّها هي مصدر الأمن؛ مصدر الأمن النفسي، مصدر الأمن البدني، مصدر الأمن الاجتماعي، ألم يقل الله -جلَّ وعلا-: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي: وحَّدوا الله -تبارك وتعالى- وأفردوه -جلَّ وعلا- بالطاعة، وأخلصوا دينهم لله.

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ أي: يخلطوا، ﴿إِيمَانَهُمْ﴾ يعني: توحيدهم، ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك، وتعلُّقٍ بغير الله.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣١) برقم: (٩٩)

الثمرة: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أمنٌ في الدنيا وأمنٌ في الآخرة، وهدايةٌ في الدنيا وهدايةٌ في الآخرة، لكن لَمن أنار الله قلبه بهذه الكلمة العظيمة "لا إله إلَّا الله".

قال -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إِنَّ اللهَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهَّ»(١) فيُصرَف بوجه الرجل أو المرء عن النَّار -والعياذ بالله-.

كثيرًا منَّا يتطلَّع إلى غفران ذنبه، وإلى العفو عن ذنوبه، ألا فليُعلَم أن "أن لا إله إلَّا الله" هي أعظم مصدرٍ لذلك، قال -عليه الصلاة والسلام-: «قال الله -جلَّ وعلا- في الحديث القدسي: يا ابنَ آدمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا -أي: بملئها- ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا - **الثمرة:**- لأتيتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً» يلقاك الله -عزَّ وجل- بقرابها مغفرة، ليس بالأمر السهل، الذي يقول هذا هو الله -جلَّ وعلا- .

«لأتيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٢) فنسأل الله -جلَّ وعلا- فبفضله ومنه وكرمه أن يكرمنا بهذا الخير.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٦) برقم: (٧٧)

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥ / ٥٠٩) برقم: (٣٥٤٠)

إذًا تمكَّن نور الإيمان من القلب كان الله -جلَّ وعلا- في قلبه فوق كل عظيم، وتكون عظمة الله -جلَّ وعلا- في القلب مُقدِّمةٌ على كل شيء، فلا يتقدَّم محبة الله ولا عظمته، ولا إجلاله، ولا توقيره أيُّ شيء، عندها ترى هذا الذي أنار الله قلبه بالإيمان داعيًا الله، ملتجئًا إليه، مستغيثًا به، متوكلًا عليه، معظِّمًا لأمره، معظّمًا لنهيه، مقبلًا عليه -تبارك وتعالى-، إن حَلَفَ لا يحلف إلَّا بالله، قال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِّ أَوْ لِيَصْمُتْ»(١)؛ لأنَّ الحلف بغير الله ينافي تعظيم الله -عزَّ وجل-، فلا يحلف بالأمانة، ولا برأس ولده، ولا برأس أمه، ولا بالشرف، ولا بغير ذلك.

وإن عمل الطاعة، عملها لله، راجيًا بذلك الأجر والمثوبة من الله؛ لأن مراءاة النَّاس تنافي تعظيم الله -عزَّ وجل-، قال -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» فسُئل عنه، فقال: «الرِّيَاءُ»(٢) أي: التصنُّع -والعياذ بالله- بالعمل.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/ ١٨٠) برقم: (٢٦٧٩) ومسلم في "صحيحه" (٥/ ٨٠) برقم: (١٦٤٦)

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤/ ٣٢٩) برقم: (٨٠٣٢)

والمُعظِّم لله، ومن أنار الله قلبه بـ "**لا إله إلَّا الله**" صبورٌ على أقدار الله، ومحتسبًا البلاء عند الله -تبارك وتعالى-، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]

قال علقمة أحد التابعين في تفسيرها: "**هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنَّها من عند الله، فيرضى ويسلِّم**" هذا هو أثر تحقيق معنى هذه الكلمة في القلب.

سببٌ آخر وأصلٌ آخر عظيم ينير الله -جلَّ وعلا- به القلب، ألا وهو:

٢- التمسُّك بسُنَّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ظاهرًا وباطنًا ما أمكن.

فالتمسُّك بهديه -عليه الصلاة والسلام-:

- تحقيقُ الاتِّباع له -عليه الصلاة والسلام-.
- والاجتهاد في الاقتداء به -صلَّى الله عليه وسلَّم- في كل شأن؛ في العبادة، في المعاملة، في الخُلُق، في الاعتقاد، في غير ذلك، والتأسِّي به

-صلَّى الله عليه وسلَّم- في شأنه كله، فهو -صلَّى الله عليه وسلَّم- نورٌ قد جاء بالنُّور.

قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:١٥] من هو النور هنا؟

هو نبيُّنا -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنار الله به الخلق بالحق الذي جاء به -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وأخرج الله به النَّاس من الظُّلمات إلى النور، فكان نورًا عليهم، صحّح وصوَّب -صلَّى الله عليه وسلَّم- أخلاق الخلق بعد أن كانت -والعياذ بالله- في انحرافٍ شديد، فهو نورٌ -صلَّى الله عليه وسلَّم- على الخلق بهذا.

إذَا تمكَّن نور السُّنَّة من القلب، ماذا يُحدِث فيه ؟

<u>يحدث فيه تحقيق معنى شهادة أنَّ محمد رسول الله وذلك:</u>

- بتصديقه -صلَّى الله عليه وسلَّم- فيما يخبر ويأمر به
- وبطاعته -صلَّى الله عليه وسلَّم- فيما يأمر به
- وبالإنزجار والكف عمَّا ينهى عنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- .

- وبعبادة الله -تبارك وتعالى- بما شرع وبيَّن ووضّح -صلوات ربي وسلامه عليه-.

فمن أنار الله قلبه بالسُّنَّة؛ تثبَّتَ في كلِّ ما يُنقَل عنه -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وفي كل ما يُنشَر ويُنسَب إليه -صلوات ربي وسلامه عليه-، لا أحد منَّا يرضى أن يُنسَب إليه شيئًا لم يقله، أو شيء فيه كذبٌ وتزويرٌ عليه -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فإذا كنا نغار على أنفسنا، أليس الأولى أن نغار على نبينا -صلَّى الله عليه وسلَّم-؟!

لهذا ما ينتشر من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، **"قال -صلَّى الله عليه وسلَّم"**، وعندما تبحث، ترى أنَّه كَذِبٌ عليه -صلَّى الله عليه وسلَّم-، لا يُعرَف في شيءٍ من كتب السُّنَّة المعروفة، لا البخاري، ولا مُسلم، ولا السُّنَن المعروفة، ولا غيرهم.

فإذا جاءك الحديث عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- فانظر أولًا هل هو ثابت النسبة إليه أم لا؟

هل صحيح حكم الأئمة عليه بالثبوت أم لا؟ لا بد، هذا حقٌّ من حقوقه -عليه الصلاة والسلام- علينا.

مَن أنار الله القلب بالسُّنَّة؛ استسلم لكل ما يأتي من أمره -صلَّى الله عليه وسلَّم- أو نهيه، قال تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]

لا يسلِّم للحكم الشرعي النبوي إلَّا مَن أنار الله قلبه بالتمسُّك بسُنَّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

لذا من آثار ومعاني التمسُّك بالسُّنَّة؛

- أن يغار المرء على سُنَّة نبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وعلى هديه -صلَّى الله عليه وسلَّم-.
- فلا يرضى بالطعن فيه، ولا يرضى بالتعرُّض له، ولا يرضى بالاستهزاء بهدي نبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ولا بالسُّخرية بسُنَّته -عليه الصلاة والسلام.
- وينتصر لنبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم- الانتصار المشروع الذي جاء به ودلَّ عليه أُمَّته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-.

إذا نوَّر الله القلب بالسُّنَّة؛ فإنَّ القلب يرفض كل شيءٍ يخالف السُّنَّة، مما هو يخالف هديه -عليه الصلاة والسلام- من المحدثات والمخالفات الشرعية والبدع التي حذَّر منها -عليه الصلاة والسلام-.

يكفي المرء خوفًا على نفسه من مخالفة السُّنَّة أنَّ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ»(١) أي: مردودٌ على صاحبه، كما قال العلماء.

«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً» أي: أتى بعمل ليس على وفق هدي سُنَّة النبي -عليه الصلاة والسلام- فإنَّه مردودٌ على صاحبه.

لذلك فإنَّه -عليه الصلاة والسلام- قال في تلك الموعظة البليغة العظيمة التي وجِلت منها قلوب الصحابة -رضي الله عنهم-، وذرفت منها عيونهم، قال عليه الصلاة والسلام: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»(٢)

لماذا؟

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٢٩) برقم: (٤٦٠٧) والترمذي في "جامعه" (٤ / ٤٠٨) برقم: (٢٦٧٦)

لأنَّ هذا الأمر؛ يخالف السُّنَّة، ويُظلم القلب ولا ينيره، فهنا أمرَ بالسُّنَّة، ونهى عمَّا يخالف هديه -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

إذا أنار الله القلب بالسُّنَّة، فبأي شيءٍ يظفر؟

وبأي شيءٍ يفوز؟

وما الذي ناله من ربِّه سبحانه؟

قالت عائشة -رضي الله عنها-: "جاء رجلٌ إلى النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-، فقال: "**يا رسولَ الله إنكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وإنكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ في البيتِ فَأَذْكُرُكَ فما أصبرُ حتى آتِيَ فأنظرَ إليكَ**" لا يصبر حتى يأتي وينظر إليه -صلَّى الله عليه وسلَّم- من شدة حبه وشوقه وتمسكه بهدي نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

يقول الصحابي: "**وإذا ذكَرتُ موْتِي وموتَكَ عرفْتُ أنَّكَ إذا دخلْتَ الجنةَ رُفِعْتَ مع النبيين**"

فماذا أجابه -عليه الصلاة والسلام-؟

قالت عائشة: "فلم يردَّ عليه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم شيئًا حتى نزل قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

إذًا هذه البشارة ليست لهذا الصحابي فقط، بل بشارةٌ لكلِّ محبٍّ ومتمسِّكٍ بسُنَّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنَّه يكون مرافقًا لنبيِّه -صلَّى الله عليه وسلَّم- في الجنَّة.

لذا على المرء ألَّا يتساهل إذا قيل له: هذه سُنَّة، هذا فعله النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، هذا نهى عنه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، هذا ثبت عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فعليه أن يستسلم ويقول: سمعنا وأطعنا، كما كان هدي الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، فوالله سيجني الراحة، والطمأنينة، والسعادة، والهداية، والرحمة، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]؛ إذًا التمسُّك بالسُّنَّة فيه الهداية، وفيه الرحمة، وفيه سعادة الدنيا والآخرة.

الأصل الثالث مما ينير القلب ويحييه: الإقبال على عبادة الله -جلَّ وعلا- والحرص على طاعته -جلَّ وعلا-

قال الله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] الحياة الطيبة هي التي يبحث عنها النَّاس، باختصار طلب السعادة، هذه الحياة الطيبة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

لاحظوا: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦] مما يدلكم على:

- حرصٍ على العبادة
- وإقبالٍ على الطاعة
- واجتهادٍ فيما يحبه الله -تبارك وتعالى- ويرضاه، في كل شيء، وفي كل طاعةٍ مشروعة من فرضٍ أو نفل، فيما هو من حق الله، أو فيما هو من حقوق الخلق.

فالقيام بحقوق الخلق التي أمر الله بها قُربة وطاعة له -جلَّ وعلا-؛ فالإحسان إلى الزوجة، وتربية الأولاد، والتواصل الطيب مع الجار، والمعاملة الحسنة للزميل إلى غير ذلك.

هذه حقوقٌ إلى الخلق، إذا رُوعيَت، ونوى الإنسان التقرّب إلى الله بذلك والتعبُّد له؛ نال الأجر المترتب على هذه العبادة العظيمة.

ينبغي للمقبل على الله في عبادته أن يراعي أمورًا ثلاثة:

الأمر الأول: الإخلاص لله -جلَّ وعلا-: أي: إنَّ الدافع له، والباعث له على العبادة؛ الرغبة وطلب الأجر من الله، لا مراءاة النَّاس -والعياذ بالله- أو طلب الثناء منهم، أو التطلُّع إلى مدحهم، لا، ليس هذا شأن من أنار الله قلبه، قال أبو أمامة -رضي الله عنه-: **"جاء رجلٌ إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- فقال: يا رسول الله: أرأيت رجلًا غزا** -يعني: جاهد في سبيل الله- **يلتمس الأجر والذكر"** لاحظوا: يلتمس يعني: يطلب الأجر من الله، والذكر عند النَّاس، فيه إخلاص؟

ليس عنده إخلاص ، ولا نية صافية لله -جلَّ وعلا-، فمع طلب الأجر في تطلُّع ومدح من النَّاس، قال الصحابي: **"ما له"** قال -عليه الصلاة والسلام-: «لَا شَيْءَ لَه»(١).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٦١٩) برقم: (٣١٤٠ / ١)

فأعاد السؤال ثانيةً: **"أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟"** قال -عليه الصلاة والسلام-: «لَا شَيْءَ لَه»

أعاد السؤال ثالثةً: **"أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟"** قال -عليه الصلاة والسلام-: «لَا شَيْءَ لَه»

ثم قال -صلوات ربي وسلامه عليه-: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ» نعم هذا هو العمل المقبول عند الله -تبارك وتعالى-.

الأمر الثاني: الذي لا بد أن يستصحبه الإنسان؛ هو ما تقدَّم معنا من متابعة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في الطاعة والعبادة؛ لأنَّ العمل إذا كان على خلاف هديه؛ كان مردودًا على صاحبه، ولهذا في الصلاة مثلًا، قال -عليه الصلاة والسلام-: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(١)

فنحن نتَّبعه -عليه الصلاة والسلام- في صلاته، ننظر كيف ركع، كيف سجد، ماذا قال في ركوعه، ماذا قال في سجوده، ماذا قرأ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، كيف ومتى كان يطيل سجوده -عليه الصلاة والسلام-،

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى برقم (٣٩٢٧)

إلى آخره مما يتعلق بالأذكار، وما يتعلق بالأدعية، وما يتعلق بالأفعال في صلاته -عليه الصلاة والسلام-.

كقوله أيضًا في الحجِّ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم»[1]، وهكذا في ذكر الله -جلَّ وعلا-، وفي صيامه -عليه الصلاة والسلام-، وفي صدقته -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وفي كل عبادة، نظر إلى هديه -عليه الصلاة والسلام- ، ونجتهد في تحقيق التأسِّي به -صلوات ربي وسلامه عليه-.

الأمر الثالث: المداومة والثبات والاستمرار على هذه العبادة؛ فالمرء إذا ثبت على الطاعة؛ فليبشر بالخير.

بل هذا أمر الله لنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]؛ أي: استمرُّوا على الطاعة وداوموا عليها حتى يأتيكم الموت وأنتم على هذه الحال ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، والعبادة مع الإنسان حتى موته ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]؛ أي: الموت، فهذا شأن المؤمن.

(١) أخرجه البيهقي برقم (٩٦٢٠)

ولهذا انظروا إلى هديه -عليه الصلاة والسلام-، وإلى هدي آل بيته - رضوان الله عليهم- تقول عائشة -رضي الله عنها-: **"وكان آل بيته - صلَّى الله عليه وسلَّم- إذا عملوا عملًا أثبتوه"** يعني: داوموا عليه واستمروا عليه، فلم يكن من هديه -عليه الصلاة والسلام- أن يقطع العمل الذي عمله وتقرَّب به، إلَّا إذا خشي فرضه، وهذا له أحكامه الخاصَّة.

فالقصد: أنَّ الثبات على الطاعة والمداومة عليها لها أثرها العظيم، ومن رحمة الله أنَّ الطاعات في شرعنا وديننا السمح العظيم ليست واحدة.

تأمَّل لو كان ليس عندنا إلَّا صلاة، ألا يدخل الملل؟ طبيعي أن يدخل الملل، لكن لاحظوا: قراءة قرآن، وذكر، وصدقة، وبر والدين، وقيام ليل، وصلاة نافلة، وأخلاق عالية في التعامل مع الناس، وطلب العلم، وحضور لِحلَق الذكر، وغير ذلك، طاعات متنوعة يتنقل الإنسان فيها بما ييسر الله -جلَّ وعلا- عليه.

فهذا أمر علينا أن نراعيه ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ولنحذر في المقابل ما ينافي هذه الأصول الثلاثة التي تنير القلب من التعلّق بغير الله

أو الشرك به -والعياذ بالله- أو الإحداث في دين الله -جلَّ وعلا-، أو ارتكاب المعاصي والمخالفات، ومزاولة المنكرات -والعياذ بالله- كل هذا يُظلم القلب؛ ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- في شأن المعاصي أولًا ناهيًا عنها، ثمَّ ذاكرًا لوصفٍ منفِّرًا منها:

قال -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ القَاذُورَاتِ الَّتِي نَهَى اللهُ -عزَّ وجل- عَنْهَا، فَمَن أَلَمَّ بِشَيْءٍ- يعني: حصل منه ارتكاب للذنب - فَلْيَسْتَتِرِ بِسِتْرِ اللهِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ»[1] لا تفضح نفسك، استتر بستر الله، وتب إلى الله، وجدد الصلة معه -سبحانه وتعالى-.

الشاهد قوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ القَاذُورَاتِ» وحريٌّ بالمرء الغيور على نفسه أن يكرم نفسه، فلا يلطخ دينه، ولا يدنس عرضه بمثل هذه الأمور التي ما نهى الله -عزَّ وجل- عنها، ولا حذَّر منها -عليه الصلاة والسلام- إلَّا لما فيها من الضرر على المرء في دينه وفي دنياه، وفي آخرته.

---

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" (١ / ١٢٠٥) برقم: (٣٠٤٨ / ٦٣٢) والبيهقي في "سننه الكبير" (٨ / ٣٢٦) برقم: (١٧٦٥٢)

أسأل الله -جلَّ وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن ينير قلوبنا بالإيمان به، والتمسُّك بسُنَّة نبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم-، والإقبال على طاعته -جلَّ وعلا-، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا، وآله وصحبه أجمعين.

****

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 Twitter تويتر 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 Telegram تيليجرام 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 Facebook فيسبوك 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 Instagram انستقرام 】
https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 WhatsApp واتساب 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 Youtube يوتيوب 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 Tumblr تمبلر 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 Blogger بلوجر 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 Flickr فليكر 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة